



جمهورية مصر العربية
الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية
الإدارة المركزية للكتب
والمكتبات والوسائل والمعامل

تاريخ المصحف الشريف

الكتابة العربية، كتابة القرآن في العهد النبوي، جمعه في عصري أبي بكر وعثمان ..
المصاحف في عصر الصحابة، المصاحف العثمانية، نقط المصاحف وشكلها.
ما يجب على كاتب المصحف، المصاحف في دور الطباعة

تأليف

خادم العلم والقرآن

عبدالفتاح القاضي

شيخ معهد القراءات بالأزهر الشريف (سابقاً)

المقرر على الصف الثالث بمرحلة التخصص بمعاهد القراءات

طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية

١٤٣٥هـ - ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م - ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فهذه عجالة موجزة، ولمحة خاطفة، وعرض سريع لبيان
كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي. وجمعه في عصر الصديق الأكبر
أبي بكر، وعصر الخليفة الثالث عثمان. وبيان ما اشتهر من المصاحف في
عصر الصحابة. والمصاحف العثمانية وعددها، وما اشتملت عليه من
القراءات، وكيف أرسلت إلى الأمصار وموقف المسلمين إزاءها، ونسخ
المصاحف. بعد عصر الخلفاء الراشدين، وما أحدث بها من نقط وشكل،
وتجزئة، ومتى أحدث فيها ذلك وما يجب على كاتب المصحف وناشره
وحالة المصاحف في دور الطباعة.

وقد مهدت لذلك بمقدمة في بيان الكتابة العربية، ومتى تعلمها
القرشيون ومن علمها لهم، وموقف الإسلام من الكتابة وكيف تطورت في
العصور المختلفة.

والله المسئول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وهو
حسبي ونعم الوكيل.

عبدالفتاح القاضي

دار الخولي للطباعة

تاريخ المصحف الشريف

الكتابة العربية قبل الإسلام وبعده

بعث النبي ﷺ إلى أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ولا تعرف عن الخط والكتابة شيئاً.

اللهم إلا نزرًا يسيرًا في جزيرة العرب كلها وبضعة عشر رجلاً من قريش خاصة، ونفرًا قليلاً من أهل المدينة ومجاوريتهم من اليهود عرفوا الخط والكتابة قبل مبعث النبي ﷺ بقليل. فمن هؤلاء أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وأبوسفيان بن حرب وابنه معاوية، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وهؤلاء من أهل مكة ومن أهل المدينة عمرو بن سعيد، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت، والمنذر بن عمرو، وكان بها يهودي يعلم الصبيان الكتابة.

ولقلة انتشار الكتابة في ربوع الجزيرة العربية. وانحصارها في أفراد قلائل من أهلها. صح التعبير عن الأمة العربية بأنها أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب. وقد جاء الإسلام وسجل عليها الأمية بقوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين).

والمشهور عند علماء التاريخ أن أستاذ القرشيين في الكتابة والخط حرب بن أمية بن عبد شمس والد أبي سفيان الصحابي الجليل لأنه كان رجلاً كثير الأسفار إلى البلاد بالتجارة فتعلم الكتابة والخط على يد أهل

هذه البلاد وعلمها القرشيين، فبدء الخط بمكة كان على يده واختلف المؤرخون في تعيين من علم حرب بن أمية ف قيل هو عبدالله بن جدعان وقيل بشر بن عبد الملك وإليك ما ورد في هذا.

ذكر الداني بسنده إلى زياد بن أنعم قال قلت لعبدالله بن عباس معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما افترق، هجاء بالألف واللام والميم والقطع والوصل وما يكتب به اليوم قبل أن يبعث النبي ﷺ؟ قال نعم: قلت فمن علمكم الكتابة؟ قال حرب بن أمية قلت فمن علم حرب بن أمية؟ قل عبدالله بن جدعان قلت فمن علم عبدالله؟ قال أهل الأنبار قلت فمن علم أهل الأنبار؟ قال طارئ طراً عليهم من أهل اليمن من كندة قلت فمن علم ذلك الطارئ؟ قال الخلجان بن الموهم كان كاتب هود نبي الله بالوحي عن الله - عز وجل - أ.هـ.

وروي الكلبي عن عوانة أول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم مرامر ابن مرة، وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة وهم من عرب طيئ تعلموه من كاتب الوحي لهود - عليه السلام - ثم علموه أهل الأنبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق الحيرة وغيرها فتعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق، فتعلم حرب منه الكتابة وعلمها القرشيين. ثم سافر معه بشر إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان فتعلم منه الكتابة جماعة من أهل مكة فكثر سواد الكاتبين من قريش قبل

وكان القرآن ينزل على النبي ﷺ فيحفظه ويبلغه للناس، ويأمر كتاب الوحي بكتابه^(١). ويدلهم على موضع المكتوب من سورتته، فيقول لهم ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة، وضعوا هذه الآية في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا. ومن الصحابة من كان يكتفي بتلقيه من فيه ﷺ فيحفظه ومنهم من كتب السورة أو الآيات أو السور ومنهم من كتبه كله أو حفظه. وكانوا يكتبونه في العسب. جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض - واللخاف - جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الرقاق - والرقاع - جمع رقعة وهي تكون من جلد أو ورق أو غير ذلك - وقطع الأديم - وهو الجلد - وعظام الأكتاف - جمع كتف وهو عظم عريض في كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم - والأضلاع جمع ضلع وهو عظم الجنين.

(والذين اشتهروا) بكتابة القرآن بين يدي النبي ﷺ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وغير هؤلاء من أجلاء الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين -.

(١) المقصود من كتابة القرآن. كذا من معارضة الرسول جبريل مرة في كل عام ومرتين في العام الأخير المبالغة في الاحتياط لألفاظ القرآن وزيادة الاستيثاق من حفظها وضبطها لتكون في مأمن من الضياع.

ولم ينقض عهده ﷺ إلا والقرآن الكريم مكتوب كله. بيد أنه لم يكن مجموعاً في مكان واحد، ولا مرتب السور، وإنما لم يأمر الرسول بجمع القرآن في مصحفٍ واحد لأن اهتمام الصحابة إنما كان بحفظه واستظهاره. وأيضاً لما كان يترقبه من ورود زيادة أو ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ وأمن توقع النسخ ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعه في مكان واحد وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر كما سيأتي.

وكان الرسول يعارض جبريل بالقرآن مرة في شهر رمضان من كل عام، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين. روى البخاري عن فاطمة -رضي الله عنهما- قالت: أسر النبي ﷺ إلى أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي.

والخلاصة أن القرآن كان مكتوباً كله في العهد النبوي ولكنه لم يكن مجموعاً في مصحف واحد. ولا مرتب السور بل كان مفرداً في العسب والرقاع وغيرها، كما تقدم وكان محفوظاً في صدور الصحابة إلا أن منهم من كان يحفظه كله لملازمته للرسول ﷺ كالخلفاء الأربعة وغيرهم، ومنهم من كان يحفظ معظمه ومنهم من كان يحفظ بعضه، والله أعلم.

جمع القرآن في عهد أبي بكر وسببه

جمع القرآن: تطلق هذه الكلمة على معنيين، الأول حفظه في الصدور، والثاني كتابته وتدوينه. وقد تحقق كلا المعنيين في عهده ﷺ.

الرجال. ويتحرى أن يكون جمعه مما كتب بين يدي رسول الله ﷺ تحرياً دقيقاً حتى أتم جمعه في صحف وإنما كان زيد يتتبع المكتوب في هذه الأشياء مع حفظه القرآن كله زيادة في الاحتياط ومبالغة في الضبط فتكون الكتابة معاضدة للحفظ، مناصرة له.

وفي ذلك يروي البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال أرسل إلى أبوبكر مقتل^(١) أهل اليمامة^(٢). فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبوبكر -رضي الله عنه- أن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر^(٣) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستمر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف نعمل ما لم يفعله رسول الله قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأي عمر قال زيد قال أبوبكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال هو والله خير فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أب بكر وعمر، فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف

(١) أي عقب قتل أهل الردة والمراد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الموقعة مع مسيلمة الكذاب.

(٢) إسم مكان في بلاد العرب كانت به الموقعة المشهورة بين جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وجيوش مسيلمة الكذاب. وقد تم فتحها على يد خالد.

(٣) أي كثر واشتد روي أنه قتل من القراء نحو سبعين وقتل خمسمائة منهم سالم مولى أبي حذيفة.

وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآيتين فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر.

فأنت ترى من هذا الحديث أن جمع القرآن في مكان واحد لأول مرة كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه وكان قبل ذلك متفرقا في العسب واللخاف وغيرها مما كانوا يكتبون فيه. وكان محفوظاً في صدور الرجال. وقد ندب أبو بكر لجمعه زيد بن ثابت لأنه اجتمع فيه من المناقب ما أوجب تقديمه على غيره واختصاصه بهذا الأمر الجليل كما سبق. ولما شرع زيد في جمعه اعتمد على مصدرين الأول ما كان مكتوباً في عهد الرسول الأعظم، والثاني ما كان محفوظاً في صدور الحفاظ، وكان يتوثق في الأخذ من المكتوب غاية التوثق، حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدي الرسول عليه السلام- وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة ولم تنسخ تلاوته. ولذلك لم يكن يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول ﷺ يدل ذلك على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب قال قدم عمر^(١) فقال من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليات به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان. قال السخاوي: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي

(١) يؤخذ من هذا أن عمر رضي الله عنه كان يؤازر زيد بن ثابت في هذه المهمة وقد دلت الروايات الكثيرة على ذلك.

وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها
بخييط حتى لا يضيع منها شيء أ.هـ.

ظلت هذه الصحف التي جمع فيها القرآن في رعاية الخليفة الأول
أبي بكر مدة خلافته. ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن
الخطاب مدة خلافته. ثم عند حفصة بنت عمر بعد وفاة أبيها وبقيت
عندها إلى أن ولي مروان المدينة فطلبها منها فأبت، فلما توفيت حضر
جنازتها وطلبها من أخيها عبدالله فبعث بها إليه فأمر بإحراقها وقال إنما
فعلت هذا لأنني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه
الصحف مرتاب^(١). أ.هـ.

ولم يأمر مروان بإحراق هذه الصحف إلا بعد أمر عثمان - رضي
الله عنه - بنسخ المصاحف العثمانية وإرسالها إلى الأمصار، وأمره بإحراق
كل ما عداها من المصاحف والصحف كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

(١) فالغرض من إتلافها سد ذريعة التشكك والارتياب فلا يستطيع أحد بعد ذلك أن يدعى أن في
هذه المصاحف ما يخالفها.

بها بعضهم بعضا حين اختلافهم في أوجه القراءة، فاستعظم ذلك حذيفة وأكبره ففزع إلى عثمان وأخبره بالذي رأى وقال له أدرك الناس قبل أن يختلفوا في كتابهم الذي هو أصل الشريعة. ودعامة الدين كما اختلف اليهود والنصارى، فأدرك عثمان بثاقب نظره، وحصافة عقله أن وراء هذا الاختلاف شرًا كبيرًا لا قبل للمسلمين به، وأن الفتنة إن لم تعالج بالحكمة والحزم ستجر - لا محالة - إلى أسوأ العواقب، فأخذ يعالجها قبل أن يستفحل خطرهما، ويتفاقم شرها فجمع أعلام الصحابة وذوي الرأي منهم وأخذوا يبحثون عن علاج لهذه الفتنة. ووضع حدًا لهذا الاختلاف. فأجمعوا رأيهم على نسخ مصاحف يرسل إلى كل مصر من الأمصار مصحف يكون مرجعًا للناس عند الاختلاف وموئلًا عند التنازع وعلى إحراق كل ما عدا هذه المصاحف، وبذلك تجتمع الكلمة وتوحد الصفوف، ويستأصل دابر الخلاف.

ثم شرع عثمان في تنفيذ ما أجمعوا عليه، وندب للقيام بهذه المهمة الخطيرة أربعة من أجلاء الصحابة وثقات الحفاظ، وهم زيد بن ثابت - وهو الذي اختاره أبوبكر لجمع القرآن لما امتاز به من المناقب السابقة - وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة قرشيون وأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف التي عندك فأرسلتها إليهم فأخذوا في نسخها. وجاء في بعض الروايات أن الذين ندبوا لنسخ المصاحف اثنا عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار منهم أبي بن كعب.

وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءاته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد) أ.هـ.

نسخ المصاحف بعد عهد الخلفاء الراشدين وما أحدث بها من نقط وشكل وتجزئة

بيننا في الكلام على جمع القرآن الكريم في عهد عثمان -رضي الله عنه- أنه كتب المصاحف ووجهها إلى الأقطار الإسلامية، وذكرنا أن هذه المصاحف كانت مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة وكانت مجردة من النقط والشكل لتكون محتملة لما تواترت قرآنيته من هذه الأحرف، واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته.

ولما أرسلت هذه المصاحف إلى آفاق الإسلام قوبلت من أهلها بما هي جديرة به من الإقبال عليها ورضى الجميع عنها، فنسخوا على غرارها مصاحف كثيرة كان لها ما لتلك من القدسية والتبجيل وكانت كسابقتها خالية من النقط والشكل لما تقدم أيضاً.

ظلت هذه المصاحف هكذا حقة من الزمن إلى أن كثرت الفتوحات الإسلامية، وانضوى تحت راية الإسلام كثير من بلاد الأعاجم، فاختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي، وفشا اللحن على الألسنة، وكادت العجمة تغطي على الفصحى، وكان هؤلاء الأعاجم يعسر عليهم التمييز بين حروف القرآن وكلماته لأنها كما عرفت غير منقوطة ولا مشكولة فخشي أمراء المؤمنين وولاتهم أن يفرض ذلك إلى اللحن في كتاب الله تعالى، فعملوا على تلافي ذلك، وإزالة أسبابه، وأخذوا من الوسائل ما يكفل صيانة الكتاب العزيز من اللحن وحفظه من التصحيف وهاك بيانها.

الأمهات وغيرها، ولا يرون بأساً برسم فواتح السور، وعدد آياتها، ورسم الخموس والعشور في مواضعها) والخطأ مرتفع عن إجماعهم أ.هـ. والذي أراه أن نقط المصحف وشكله شكلاً كاملاً واجب في هذا الزمن لتيسير قراءة القرآن على سائر الناس، وللمبالغة في صيانتها من اللحن والتحريف، وتجاوز كتابة أسماء السور في ابتداء كل سورة وعدد آياتها وبيان كون السورة مكية أو مدنية، من غير تعرض لذكر المستثنيات لعدم الاتفاق عليها، كما تجوز كتابة علامات الأجزاء والأحزاب والأرباع والسجدات وعلامات الوقوف وأرقام الآيات وعلامات فواتح السور وخواتمها، وقد كره ذلك كله جماعة من السلف لقول ابن مسعود: جردوا القرآن ولا تخلطوا به ما ليس منه. أ.هـ.

والذي أراه أن ذلك كله لا بأس به وإليه جنح جماهير العلماء من السلف والخلف كما تقدم عن الداني ويجوز تحلية المصحف بالفضة إكراماً له على الصحيح فقد أخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم قال سألت مالكا عن تفضيض المصاحف فأخرج إلينا مصحفاً فقال حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه والأظهر التسوية. أ.هـ. من الإتيان للسيوطي.

